

كيف يعظون

للأستاذ عباس محمود العقاد

هذا هو المثل المسيحي وله شروحه ومقباته عند من تناولوا
مسألة الاختيار ومسألة الشر الديني في الفلسفة الحديثة
ولكنه كلام يقال للرجل المصري فإذا هو أقرب إلى فهمه
والإصغاء إليه من كلام لا يقوم على فكر ولا على حجة وإنما يقوم
على إكراه كإكراه الآلات وتكرير كتكرير البيغات

أما المثل الإسرائيلي فقد قرأته في رسالة يقول كاتبها وقد
عرض حوادث العالم أمامه فإذا هو يقول: إن الله يتلى بالقصاص
العاجل كل بلد يظلم أبناء إسرائيل، ويكتب النصر والقوة لكل
بلد يعاملهم معاملة الرفق والمساواة. فلن ترى أمة شاعت فيها
المذابح والظالم للاسرائيليين إلا أصيبت بثورة أو سبقت إلى حرب
أو منيت بهزيمة
هذه روسيا كانت أسبق الأمم إلى ظلم اليهود فابتلاها الله
بالثورة البلشفية
وهذه أسبانيا تعاقبت فيها للظالم عليهم فابتلاها الله بالحرب
الأهلية

وهذه بولونيا نفسها لم تحل في بعض عهودها من ظلمهم
ومطاردتهم، فشاعت الأقذار أن تكفر عن سيئاتها
وهذه ألمانيا النازية تنساق إلى حرب زبون تهدمها من أركانها
« يهواه رب جبار لا ينسى الثأر ولا يصبر على الأشرار »

وهذا الكلام أيضاً أقرب إلى عقل الرجل المصري الذي
يفكر تفكير المشاهدة وينظر بعين التاريخ، وإن كان قائله
ليخلف الأمر فيضع المقدمة موضع النتيجة ويضع النتيجة موضع
المقدمة. إذ الحقيقة أن الاضطراب هو السبب المؤدى إلى ظلم
« الأقليات » ومنها اليهود، وليس ظلم الأقليات عامة أو اليهود
خاصة هو السبب المؤدى إلى وقوع الاضطراب. فالروسيا
وأسبانيا وبولونيا وألمانيا كانت فيها المساواة الاجتماعية والفلاقل
السياسية سابقة للخصومات والفتن التي تقع بين عناصر الكثرة
وعناصر القلة فيها، وقد حدث أن بلاداً وقعت فيها الهزائم
والفتن وليس فيها يهود مضطهدون كما حدث في بلاد الترك

أيام الحوادث الفادحة في أيام المظلات البليغة لن يحسن
استخراجها من حوادثها ثم يحسن التعليل بين مقدماتها وعواقبها
والحرب أبلغ المظلات
لأنها تمنحن النفوس فتتبرر فيها الشكوك وتقلقل فيها دعائم
الإيمان فهي في حاجة إلى اليقين والاستقرار
ولأنها ترين على القلوب بالغموم وتلمع فيها الأحزان فهي
في حاجة إلى الترفيه والتأسية والمزاء
ولأنها تكتظ بالشواهد والمثل وأسباب الخبرة وبجامع العبرة
فهي في حاجة إلى من يحسن التعبير والاعتبار

رأيت مثلين من أمثلة المظلات للمصرية هما اللذان بثاني
إلى كتابة هذا المقال: أحدهما مسيحي والآخر إسرائيلي، وكلاهما
من مبتكرات الوعظ « العقلي التاريخي » الحديث
جاء المثل الأول في مقال بصحيفة « المانشستر جارديان »
الأسبوعية لواعظ يصف تجاربه في الحرب الماضية قال:
كثيراً ما وعظت في أثناء فترات الغداء بالمصانع فكانوا
يلتقونى برفق وإكرام

ولكني في بعض الأيام لقيت رجلاً غاضباً محتقاً وإن كان
مؤدباً في مسلكه يقول لي: ما هذه الجرأة منك على الوعظ باسم
إله المحبة والرحمة وهذه الحرب الخبيثة تطحن الناس؟
قلت له: إنك يا أخانا تقاس على الأقدار... فهبك في مكان
القدر فإذا عماك كنت صائماً بالدنيا؟ ... لا أحسبك كنت
تحليها من الخطيئة لأنك بهذا تهدم تكوين النفس الإنسانية
باعتبارها نفساً مرهبة مكلفة ذات حرية ومشيتة... فإن لم تصنع
هذا فإذا أنت صانع؟

قال: على أية حال كنت لا أدع إنساناً يالم في حياته لجريرة
غير جريرته وذنب غير ذنبه

فأجبت قائلاً: آه يا لها من حياة مخيفة تلك التي تريدها.
فإذا تنوى أن تصنع بالأمم، مثلاً؟ أتريد من الأمم إذا ذهبوا
بأنها إلى الموت أو ذهبوا بآبئها إلى العار أن تمضي في طريقها

جناية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

— ١٩ —

— ❦ —

رأينا في المقال السالف كيف أخطأ الأستاذ أحمد أمين حين زعم أن الأدب العربي على اختلاف عصوره ليس فيه إلا شاعر واحد يهم بتحليل المعاني

فهل نجاء الله من الخطأ حين زعم أن الأدب العربي لم يعرف غير كاتب واحد يهم باستقصاء الأغراض ؟

إن الله لطف بابن خلدون فشغل به قلب الدكتور طه حسين لتعلو منزلته في نظر الأستاذ أحمد أمين ، فأغلب الظن أن أحمد أمين لم يكن عنده مانع من القول بأن الأدب العربي في جميع العصور وفي جميع الأقطار لم يُخلق فيه كاتب يعرف كيف يشرح المعاني والأغراض على نحو ما يصنع الكتاب في هذه الأيام !

والحق أن بُعد الدكتور طه حسين عن مصر في أيام الصيف عرض الأستاذ أحمد أمين للمعاطب ، فلو أن الدكتور طه بقي في مصر لكان من الجائر أن يعلن إعجابه بكاتب آخر غير ابن خلدون ، وعندئذ كان يصح للأستاذ أحمد أمين أن « يتفصل » فيقول إنه لا يعرف في الأدب العربي غير كاتبين اثنين ؛ وكان من الجائر أيضاً أن يعلن الدكتور طه إعجابه بكاتب ثالث فيقول الأستاذ أحمد أمين إنه لا يعرف في الأدب العربي غير ثلاثة من الكتاب !

فهل رجوا أن يتلطف الدكتور طه حسين فيقول إنه لا يُعقل ألا ينبغ في الأدب العربي غير كاتب واحد في ذلك الأمد الطويل الذي سيطر فيه على أقطار أسبوية وإفريقية وأوربية ؟

إن الدكتور طه لو قال هذه الكلمة - وهي حق - لَسَرَتْ دواها إلى روح الأستاذ أحمد أمين فاندفع يثني على الأدب العربي

والسين . فالعلة الأولى هي الإضطراب والعلة الثانية هي الاضطهاد ، وهذا هو موضع الخطأ في تفسير إرادة الله كما رآها واعظ إسرائيل إلا أن الكلام كما أسلفنا كلام يقال في العظات المصرية لإتناع السامعين المصريين ، ودر خير من كل كلام لا ينظر قائله إلى الواقع ولا ينظر إلى التاريخ

قرأت هذين المثليين في شهر رمضان

وشهر رمضان عندنا هو شهر العظات وشهر السهرات في سماع القرآن والدروس

وقد سمعت بعضها وقرأت بعضها وذكّرت بعضها مما كان يلقى في السنوات الماضية

فيطيب لي أن أقول إنها تتقدم من المحاكاة إلى الابتكار ، وأنها تخرج من حقائق الموت إلى ميادين الحياة ، وأنها تخاطب الناس خطاب الإقناع بعد أن خاطبتهم طويلاً خطاب الإلزام والإرهاب ...

فإذا اطردت على هذه الوتيرة فسيلها غداً (١) أن تشمل الآفاق الواسعة وتعمق في أغوار النفس الإنسانية و (٢) أن تربط بين موضوعاتها وكبريات الحوادث الحاضرة و (٣) أن تعمم الإقناع في خطاب العقل البشري فلا تقتصره على من يؤمن بالقرآن والسنة والمسلمين ، بل تجعله مقنعاً خليقاً بالبحث والنظر في رأي كل صاحب عقل وتفكير وهل أضيف أمنية أخرى ؟

يقول أناس إن بائع الحرير لا يلزم أن يلبس من حريره ، وإن واصل الدواء لا يلزم أن يتناول من دوائه ، وإن الأب الذي يقدم لوليدته الطعام لا يلزم أن يأكل من طعام الأطفال ، ولكن الواعظ لا يكون واعظاً إلا إذا عمل بما يأمر به الناس ويقول آخرون : بل حكم الواعظ في ذلك حكم بائع الحرير وواصل الدواء ومقدم الطعام لبنيه ، فليس بالواجب عليه أن يعمل بكل ما يقول ، وإنما الواجب عليه أن يهدي كلاً من سامعيه إلى ما يحسن به عمله وتصلح له هدايته

وأياً كان مقطع الرأي في اختلاف الواجبات أو اتفاقها بين الناس فهناك واجب مشترك متفق عليه بين جميع الواعظين والماملين : وهو الإيمان بالواجب والإيمان بالأمانة والإخلاص في أدائه . عباس محمود العقاد